سجنٌ جديد

معربة بقلم احد المشتركين

ان في مدينة فولسم بمقاطعة كليفورنيا التابعة للولايات المتحدة الاميركانية سجنًا لمن يُحكم عليهم من الاشقياء بالاشغال الشاقة يختلف نظامهُ عن نظام باقي السجون التي من هذا القبيل . وهو حديث النشأة لم يُعمل به الاَّ منذ سنين قليلة . ولما كان من الغرابة على جانب عظيم كان مطمحًا لانظار محبي الانسانية وقضاة العقوبات الادبيَّة في العالم باسره . وقد ذهب معضدو هذا النظام الى ان اساسهُ درس الطبيعة البشرية درسًا مدَّققًا ومعرفة احوال مرتكبي الجنايات واطوارهم معرفة تامة . ومن غريب امرهِ عدم استعمال القسوة فيهِ مطلقًا مهما كانت جريمة المسجون . وذهب مؤسسوهُ الى ان جميع الجرائم (الاَّ ما كان منها صادرًا عن دافعة قسريَّة ناشئة عن انفعال نفساني او محرّك غير اعتيادي) اسبابها خلل في صحة المرتكب او فساد في آدابهِ وتربيتهِ ولذلك ينظر اليهِ كانسان لم يعوَّد نفسهُ على العمل او قد اصبح لفساد طبيعتهِ ميَّالاً الى الكسل والانفعالات الوبيلة او يعتبر لحطَّة مخيلتهِ الادبيَّة بالاسباب التي ذكرناها كانسان يرى ان ناموس الهيئة الاجتماعية كابحٌ لا يطاق حملهُ فيتعداهُ ويهتك حرمتهُ . فلازالة الفرق الذي بين المرتكب والخاضع للناموس يقتضي اولاً جعل المرتكب في حالة صحية . ثانيًا غرس عادة الشغل فيهِ بحيث تصير تلك العادة ملكة طبيعية . ثالثًا اقناعهُ بان سعادتهُ الشخصية تتوقف على خضوعهِ التام للناموس ولن شئتَ قلتَ تعليم المسجون المحلَّلات والمحرَّمات لا من حيث الدين او العواطف الانسانية او الحقوق المتبادلة بل من حيث العوائد الشخصية المألوفة . ولذلك كان المراد بهذا النظام اصلاح شأن الجاني لا باكراههِ على احتمال العقوبة الآيلة اليهِ من جنايتهِ بل باصلاح شأنهِ بتعليمهِ بالاختيار الشخصي الملاذَّ والفوائد الناتجة عن الشغل والخضوع للقانون . فان الخيرين قالوا بان الجاني يعلم جيّدًا انهُ شرير ولذلك كان من اللزوم اقناعهُ ايضًا بانهُ احمق . فاذا علم ان حياة المجرم إن هي الاَّ سيرة حمقى اذ انها تحرمهُ مستحبَّات هذه الدنيا ومستلذاتها التي لولا جرائمهُ لكان لهُ حق التمتُّع بها كغيرهِ فقد تم اكثر من نصف اصلاحهِ وهو يسير على درب متى بلغ نهايتها اذا هو رجل راسخ المبدإ يوثق بهِ ويعتمد عليهِ

أما سجن فولسم فليس فيهِ ما في غيرهِ من السجون المعروفة من انواع العذاب وادوات

الالم بل ليس فيه حجر منفردة لكل محبوس على حدته ولا ينام محبوسون على الواح من الخشب ولا يُغفل عليهم بالمآكل وليست قوانينه بصارمة فان هذه الامور وما شاكلها تعتبر غير لازمة للمحبوس بل تضرُّ به لانها تهيجه وتُوقظ فيه حاسة التضجر فاذا أُبطلت وعُومل بالحسنى فانه يخضع لقوانين السجن خضوعاً تامًّا

فاذا أُدخل مجرمٌ الى سجن فولسم ينزع ما عليه من الثياب وتدوَّن اوصافه وترسم صورته بالفوتوغرافية قبل حلق شعره وبعد حلقه ثم يُذهَب به الى الحمام فيغتسل ويلبس ملابس السجن فيؤتى به الى حجرته . ويُصرَّح له بالاكل ثلاث دفعات في النهار يتناوله مع غيره من المحبوسين . اما الطعام القانوني فالفطور فول مسلوق وخبز وقهوة كل يوم والغذاء مسلوق لحم البقر مع الكرنب دفعة واحدة في الاسبوع ومشوي لحم الضان دفعتين في الاسبوع وبخنة لحم البقر او الضان مع البطاطا دفعتين ايضاً في الاسبوع وروزبيف مع البطاطا دفعتين ايضاً كل ذلك ما عدا الخبز والقهوة يوميًّا . اما العشاء فمنه الحلواء ثلاث دفعات في الاسبوع وفول مسلوق ثلاث دفعات ايضاً مع الخبز والقهوة يوميًّا . ولا يصرَّح للمحبوسين بالخروج عن دائرة السجن بل يمرحون داخل اسواره في عيش فسيحة . ولا يطلب منهم عمل ما بل يتركون وشأنهم ليجتلوا هم بانفسهم عن نظام السجن فلا تمضي الاَّ ايام قليلة حتى يستولي القلق على المحبوس فيشتاق الى العمل ويعلم امرين اولها ان عددًا كبيرًا من المحبوسين مثله يصرَّح لهم بالتمشي في الخلاء كل يوم كأنهم ليسوا بمحبوسين وثانيها ان الطعام الذي يتناوله هؤلاء هو احسن من الطعام المصرَّح له به . وقد قال احد الكتبة عن هذا النظام ان المحبوسين يوثرون طبعًا لو امكنهم وهم في دائرتهم الضيقة الحصول على جميع الملاذ التي يمكنهم الحصول عليها فانهم يحبون الحرّية والرياضة في الخلاء ويميلون خصوصًا الى الاطعمة الجيدة ولذلك يسألون عن الوسائل التي بها يحصلون عليها فيعلمون ان ذلك ممكن اذا اشتغلوا فلا يمضي الاَّ القليل من الزمن حتى يطلبوا شغلاً كباقي المحبوسين وبهذه الوسيلة يتوصل المحبوس بدون اكراه او اجبار (كما يفعل في السجون الاخرى) الى الغرض الاوَّل من هذا النظام وهو الميل الى الشغل . فيسمح له حينئذٍ بمقابلة مدير العملة وهو يوضح له ان راحته مدة قيامه في السجن انما تتوقف على كيفية ممارسته للعمل الذي يطلب ان يعمله . ثم يرسله الى المقالع المجاورة للسجن فيشتغل فيها مع غيره من المحبوسين ويتناوَل طعامه مع من هم من الدرجة الثانية وطعامهم هو كطعام الدرجة الثالثة الاَّ انه يزاد عليه الشوربا دفعتين في الاسبوع ومسلوق

لحم البقر والضان مع القهوة والخبز كل يوم صباحًا . وفي ايام الآحاد يعطون شرابًا حلوًا اما غذاؤهم فهو من لحم البقر او الضأن المسلوق مع الخبز والشاي ويفرّق عليهم الكعك في ايام الآحاد . وقد لا يصلح المسجونون او اكثرهم للعمل في اوّل الامر لانهم لا يقدرون على اجهاد قوام مدة طويلة من الزمن لكن ميلهم يزداد كلما تعوّدوهُ . ولهم محرّك قوي يبعثهم عليهِ وهو طبيعة المآكل التي تعطى لمسجوني الدرجة الثانية وبالنتيجة يجتهد المسجون ما امكنهُ في العمل وقد يشتغل في الابتداء فوق طاقتهِ فتنشأ فيهِ روح المناظرة والمسابقة وهذا احسن العلامات الدالّة على اصلاحهِ . ثم يزداد مهارةً في الشغل فيزداد صحةً في جسمهِ وتتغير احساساتهُ وتحسن سحنتهُ وتصلح اعمالهُ . قال معضدو هذا النظام ان كل شيء يأول حينئذٍ الى الاصلاح وبعد مضي مدة الاختبار يثبت المسجون على تناول الاطعمة مع ارباب الدرجة الثانية ويكون قد تعلم الدرس الثاني وهو "ان من لا يتعلم فهو احمق"

هذا وعدا عن هاتين الدرجتين في المآكل درجة أخرى لا يتوصل اليها المسجون الاّ بالاجتهاد والكد في العمل واطاعة قوانين السجن طاعة تامّة . فيتعلم وهو داخل اسوار هذا السجن ماهية الملاذ التي يمكن الحصول عليها بالاجتهاد والنشاط والمهارة وفي هذه الدرجة يعطى من الاطعمة الاصناف الآتية وهي يوميًا الكستلاته والبفتك مع البطاطا وخبز القمح والحلواء والقهوة وغير ذلك . ففي الغداء شوربا الشعير والمعكرونة وتوابل الكرنب والسلطة والخضر والحلواء والشاي ذلك علاوة على الكستلاته والبفتك . وفي العشاء مشوي لحم البقر او الضان اربعة ايام في الاسبوع ويخته من اللحم والخضر دفعتين في الاسبوع والكعك ثلاث دفعات ومطبوخ التفاح والخوخ كل منهما يومًا واحدًا عدا الخبز والبطاطا والفول وشراب الحلواء والشاي . اما رغبة المسجونين في الوصول الى مأكولات هذه الدرجة فعامّة بينهم والذين يرتقون اليها لا يتركونها غالبًا . اما النزول من هذه الدرجة الى الثانية فنادر ولا ينشأ الاّ عن مشاجرات وقتبة بين المسجونين او عن مخالفات أخرى لنظام السجن وليس عن ارتداد منهم

وفي سجن فولسم هذا اكثر من ثلاثمائة مسجون يعاملون جميعًا على هذه الطريقة ويؤكد القوم انها ناجعة طبق المرام فيتعلم المجرم بالاختبار ان الجرائم منشأها الحمق لا الرداءة ومن العبث ان يقال للجاني انهُ رديء لانهُ يعلم ذلك ولا يعتذر عنهُ ولا يتأثر اذا قيل لهُ انهُ صالح ولكن اذا بُيّن لهُ ان في ارتكابهِ الجرائم حماقةً واضحة لانهُ بسبب ذلك يفقد الملاذ والراحة التي لهُ فيها الحق كغيرهِ من الناس ففي الغالب يقتنع راضيًا . اما عدد الجانين الذين قد خرجوا

للآن من هذا السجن ثم أتي بهم اليوم ثانية لعودهم الى ارتكاب الجرائم فقليل جدًّا ومهما تعدّدت الاقوال والآراء في هذا النظام فهو حديث النشأة جدير بان يُلتفت اليه في البلاد التي لاهلها رغبةٌ في اصلاح السجون ناشئة عن حاسيات الانسانية

(المعرّب) هذا ما عثرتُ عليه في الجرائد الانكليزية تكملةً للمقالة المدرجة في الجزء الثاني من المقتطف الاغر التي عنوانها "مرتكبو الجرائم والسجون" فرأيتُ ان اعربه تعميمًا للفائدة لما في هذا الموضوع من الاهمية . ولا شك ان مقالات كهذه تُريبنا ما للافرنج من دقيق الاعتناء بالامور حتى بمرتكبي الجرائم الذين كان يُظن ان الواجب رمقهم بعين القساوة والشدة زيادةً في عذابهم وآلامهم لما جنت ايديهم الا انهم نظروا اليهم متدبرين امرهم من حيث اصلاحهم وارشادهم الى الطريق القويم وسبيل الادب حتى لا يعودوا الى ارتكاب المحرمات ولذلك رأوا وجوبًا ان يجعلوا السجون بمثابة المدارس و يبحثوا في تغيير نظام سجونهم الحالية لانهم وجدوها على غير انتظام من حيث الشفقة الانسانية فعمد بعض ارباب الامر والنهي في اميركا الى الطريقة المشروحة اعلاهُ واخرجوها من حيز الفكر الى حيز العمل . ولحسن الحظ قد اصابت طريقتهم هذه الغرض المقصود (كما قال اصحابها) ويؤمل ان تشيع في باقي الممالك المتمدنة . هذا ولربَّ يوم يرون فيه لزومًا للتنقيب في طريقة الاحكام المتبعة عندهم الآن فينبذونها ظهريًّا و يستعيضون عنها بالطريقة المشروحة في المقالة السابقة او يبتدعون لها طريقة تناسب الحال وتأول الى خير البشر

بابُ الزراعة

الزراعة في وادي النيل

اذا افتخرت الممالك بصنائعها ومتاجرها فالقطر المصري يفتخر بنيلهِ بل بجودة تربته بل بالعائلة المحمدية العلويَّة التي وسعت نطاق الزراعة فيهِ بعد ان أمست اثرًا بعد عين . وقد يظن البعض ان كلامنا هذا من باب الاطراء والمبالغة لانهم قد الفوا سماع المدح في محلهِ وفي غير محلهِ اما نحن فنضنُّ بالمدح على غير مستحقيهِ ولا نكيل الكلام جزافًا . وهاك ما يثبت توسع نطاق الزراعة في ايام هذه العائلة الكريمة من سنة ١٨٤٢ ميلادية الى الآن فقد كانت